



نيسان ١٩٢٩

قداسة الجبر الاكظم
 بيوس الحادي عشر
 بويله الذهبي اوكرنوبي
 بقلم الحوري بطرس غالب

اقتح الجبر الاكظم ، بيوس الحادي عشر ، بويلاه الكهنوتي الذهبي
 بتداس اقامه في كنيسة القديس بطرس ، يوم الخميس الواقع في ٢٠ ك ١
 ١٩٢٨ ؛ وهو بد. السنة الحين ليامته كاهناً . وقد حضر القداس عدد
 عديد من الكرادلة ، وهيئة سفراء الدول لدى القاتيان ، واشراف رومية ،
 واحبار كثيرون ، وممثلو المعاهد العلمية الجبرية والرهبانيات ، ووفود المؤمنين ،
 وفي مقدمتها وفد مديولان يرثسه مطرانها الكردينال توزي . وفي آخر الذبيحة
 الالهية تقدم من مائدة الخلاص للمرة الاولى مائة فتى وفتاة ارتفعت صلواتهم
 طالبة اللون الالهي لمن ألتيت على عاتقه مشولية مقدرات الكنيسة جماعاً .
 وبمرض هذا البيويل اذاغ قداسة البابا منشوراً في العالم الكاثوليكي ،

في السادس من كانون الثاني من السنة الحالية ، بدوّه «*Ausplicantibus Nobis*» به اعلان افتتاح سنة مقدسة غير اعتيادية افاض فيها من كنوز الكنيسة النعم والفوائد العديدة ، محرّضاً المؤمنين على الاشتراك معه في الصلوات حتى تتوثق العرى التي تربط ابناء الكنيسة بعضهم ببعض . ويدوم اليوبيل الى نهاية كانون الاول . وقد نشر البشير الاغرّ لائحة الانعامات التي يمكن غنمها ، والشروط التي يجب تسميها لهذه الغاية ، فاذا الانعامات وافرة ، والشروط سهلة .

واذ كان لا بدّ للمؤمنين ابناء العائلة الكاثوليكية من ان يتقوا على حياة ابيهم وراعي نفوسهم ، ليطمئنا ما زانه الله به من الصفات الفريدة ، ووضع في قلبه من الحلف الابوي ، فيزداد تعلقهم به ، واحترامهم مقامه ، ومحبتهم له ، اتيت في هذه العجالة اوجز لهم ترجمته ، مكثفاً بما يعصّر لهم بيوس الحادي عشر صورةً مطابقة للاصل على قدر المتطاع .

١

هداية اشيل راتي ، ورعونة ، وكرهونة

ولد امبرواز داميان اشيل راتي في بلدة دزوي ، من اعمال اقليم مديولان ، في اليوم الحادي والثلاثين من شهر ايار سنة ١٨٥٧ ، وهو سادس اخوته السبعة الذين لم يمش منهم سواه ، وشقيقه فرمو ، وشقيقته كاميليا . وقد عُني والداه بتربيته تربية مسيحية حقة ، ساعدهما فيها خوري الرعية النيرد ، يوسف فولونتريري . ثم أرسل الى المدرسة الاكليريكية الاعدادية فانكب على العلم أي انكباب .

لحظ رؤسائه شأثله الفراء ، وتحققوا ميله الى الدرس والحالة الكهنوتية ، فادخلوه الى مدرسة مورتا الاكليريكية ، حيث تخصص لدرس المعاني والبيان . ولما انتهت عين ناظرًا للتلاميذ في مدرسة القديس كارلوس في مديولان ، ثم جاز امتحان البكالورية فجاز . عندئذ اُحصي في عدد طلبة المدرسة الاكليريكية الكبرى حيث تلقى الدروس العالية مدة ثلاث سنوات لمع فيها بين اقاربه . وكان لعنه الخوري داميان راتي تأثير عظيم في نفسه ، وبفضله رسخت في

فزاد ابن اخيه الفضائل الكهنوتية . فطلب اشيل الانضواء الى اخوة القديس فرنسيس الثالثة ، وقبل فيها سنة ١٨٧٤ .

ولمّا كان اشيل يقضي سطلته في بلدة أَسْر ، كان السيد ده كالاينا يأتي للاستراحة فيها من عناء الاشغال عند الكونت مرآ . فرأى تعوى الاكليركي واجتهاده ، ورسائته ، فوكل اليه تدريس اصول اللثة في مدرستَي القديس بطرس الشهيد والقديس مرتينوس . وكان يحلّه ويدعوه « فتاي الشيخ » . ولمّا ثبت من دعوته ارسله الى رومية لينجز ددوسه في المههد الاكليركي اللومباردي ، وارسل معه الطالب لُوآلدي الذي رقي في ما بعد الى كرسي مطرانية بيلرمو في صقلية ، ثم الى مقام الكرادلة . فواظب كلاهما على حضور الدروس التي كان يلقيها الآباء . مازلاً ، وبلبريني ، وكلوتن ، اليسوعيون المشهورون . وكان يتلقى العلوم آنثذ في المدرسة ذاتها جياكومو دلأكيازا الذي انتخب في ما بعد حبراً اعظم وعرف باسم بنديكتوس الخامس عشر . نال الطالبان شهادة الملقنة في الفلسفة واللاهوت والحقى القانوني وكلنا اول من حاز هذه الاتقاب في مجمع القديس توما العلي ، الذي كان قد أسسه لاون الثالث عشر في ١٣ تشرين الاول ١٨٧٩ . ومن شدة اعجاب الاب ليراتورد اليسوعي معلها بما لقت نظر البابا اليها ، فاعرب لاون الثالث عشر عن رغبته في مقابلتها . وفي تلك الحقبة كان قد انتشر مذهب روسيني الفلسفي في مصدر التصورات والنفس ، وهو مذهب نُججت بردته من الاضاليل ، فاراد الحبر الاعظم ان يفهمها الحطة الواجب ساوكها لمناهضة المذهب المذكور .

وفي اليوم العشرين من كانون الاول سنة ١٨٧٩ رقي الملقان الجديد الى الدرجات المقدسة ، وخدم له قداسه الاول رفيقه لُوآلدي في كنيسة القديس كارلوس الخاص بالمديولانيين ، وبقي في رومية ثلاث سنوات عاد بعدها الى ابرشته بصحبة رفيقه المذكور ؛ وعين لمساعدة خوري برني ؛ لكنه ما عم ان استدعي لالتقاء ددوس اللاهوت الاعتقادي والخطابة الكنسية ، فقام بمهته خير قيام طيلة خمس سنوات . وفي سنة ١٨٨٨ قبل في جمية اساتذة المكتبة الامبروسيانة ووكلت اليه خدمة راهبات العلية الصهيونية . فانشأ في مبدمن

جملة اعمال روحية منها الرياضات والمحاضرات الدينية ، لكنه صرف عناية خاصة الى منتظمي المداخن الفقراء الذين كانوا يغادرون جبالهم الى المدن للارتقاق من مهنتهم هذه في فصل الشتاء .

ولم يفت الكردينال فرآري مطران مديولان اجتهاد كاهنه ، ف جعله مستشاراً له واستند اليه عدة وظائف هامة في ديوانه .

ومن يوم باشر الكاهن راتي خدماته الروحية ، انخرط في سلك جمعية كهنة القديس كزولس التي كان شعارها «التواضع» وتجنب اي معنى توصلاً الى المراتب الكنيية . على ان بيوس العاشر اوجب على الكاهن لوآلدي قبول مطرانية بلرموسنة ١٩٠٤ ، وبنديكتوس الخامس عشر رأى في الكاهن اشيل راتي صفات فريدة فاراد ان تستفيد منها الكنيية .

٢

ادارة المكتبةن الامبروسيانة والفانيلانية

أست المكتبة الامبروسيانية في مديولان سنة ١٩٠٦ ، وقد عُني بها الكردينال فردريك بوروميه ، ابن عم القديس كزولس بوروميه ، وتوفى اساقفة المدينة الى جمع شتى المؤلفات والمخطوطات فيها ، و وكلوا ادارتها الى علماء فطاعل زادوها رونقاً وترقياً وثروة علمية ، واغلب هؤلاء الاساتذة ، مع مديروهم ، من جمعية كهنة القديس كزولس . طمع اشيل راتي الى منصب استاذ في الامبروسيانية فناله بمجدارته ، وما لبث ان عين مديراً لها خلفاً للسيد شرياني سنة ١٩٠٢ .

وكان استاذ الامبروسيانية ذا اجتهاد لا يعرف الملل ، ألا انه حينما كان يشعر بحاجة الى الراحة في مدة العطلة كان يتلقت جبال الالب حتى انه نال شهرة في هذا النوع من الرياضة البدنية . وقد اطلق اسمه مؤخرآ على احدى قمم الالب الايطالية تحليداً لنشاطه واقدامه .

ولم ينعمه انصابه على الدروس من الاهتمام بالنفوس ، بل كانت سلواه وتغزيره ان يزور ابناؤه ، منتظمي المداخن ، ويخاطبهم بلهجتهم ويندسهم

التلميح المسيحي ، ويمدّهم لقبول الاسرار .

وقد نشر عدّة مؤلفات ومقالات لقتت انظار طماء العالم اظلمها في محتويات المكتبة الامبروسيانية . وبعد ان انتخب حبراً اعظم ، أطلق اسمه على احدى قاعات المكتبة المذكورة ، ووضع في صدرها تمثاله النصفي .

وقف بيوس العاشر على اعمال مدير الامبروسيانية ، فدعاها الي رومية وجعله وكيل مدير الثاينيكانية ما تخأ آياه حتى الخلافة (٢٠ شباط ١٩١٢) وفي واقع الحال ، لما تنحى الاب امرله اليسوعي عن وظيفته سنة ١٩١٤ لتقدمه في السن ، خلفه السيد راقي الذي رقى سلفه ، بعد ان صار حبراً اعظم ، الى رتبة الكرادلة (١٩٢٢) . ولم يكن العبّ قتيلاً على اكتاف المدير الجديد بل قام به افضل قيام . وقد لحظ جميع زائري المكتبة ما كان عليه من دماثة الاخلاق ، والاسراع الى تلبية طلبهم . فانه كان مرشداً اميناً عالياً يجود على المبتدئين بنصائحهم ، ويدلهم الى افضل الطرق للاستفادة من دروسهم والتقدم فيها كأن العناية الالهية ارادت ان تهني السيد راقي لذلك المقام السامي لتسكنه من ان يفيد الكنيسة ، فبعثه يقضي شطراً من حياته بين العلماء . والكتب يكشف القناع عن الحقائق التاريخية مستقياً المعلومات القيمة من اصدق المصادر ، ليتذرع بها للمناضلة عن الحقيقة ويطلع على اسرار السياسة ونيات الرجال الذين اداروها ، حتى يتدبر امره في معاطاته مهام الكنيسة .

٣

سفارة في بولونية

وكان بنديكوس الخامس عشر يرتاح الى محادثة مدير المكتبة الثاينيكانية ، فابث ان وقف على ما يحويه ذلك الدماغ من المعارف ، فاختره زائراً رسولياً لبولونية وكانت المهمة شاقة في تلك الآونة ، لان بولونية لم تكن بعد نالت استقلالها (٢٥ نيسان ١٩١٨) ووكل اليه ان يتحرى حالة تلك البلاد الدينية والادبية ويدرس انجح الوسائل لانهاض ذلك الشب الكاثوليكي المبعوث من لحده ، ويؤس تنظيم تلك الكنيسة المجددة شبابها . واليك بعض ما كتبه بنديكوس الخامس عشر الى اساقفة بولونية في وصف مثله :

«هذا ذلك لا نكاد نرى لزوماً لتوسيتكم برجلٍ تُشفع به تقواه ، وفخبرته على الدين وخبرته بالامور ، وعلمه المشهور لدى الجميع . لكن ما نريد ان نلوه هو ان لنا به ثقةً بليغة تمسكنا على ان نكون على يقين من ان مساعيه وجهده ستكون منها للكعبة فوائد خطيرة في الغابة .»

ذهب السيد راتي الى بولونية واخذ يطوفها ، فاستقبله الشعب بمظاهر الفرح اما هو فاهتم بتوثيق علاقاته مع الاساقفة والكهنة ، واهبهم ليكونوا اهلاً لادارة مقدرات امة كاثوليكية حفظت ايمانها رغم الاضطهادات المستمرة طيلة قرن ونصف قرن . وقد رأى الحاجة الى انشاء اسقفيات جديدة فعرض الامر للحبر الاعظم وطلب ان يُقرّر ذلك بوقت قريب . ولما تحققت آمال بنديكوس الخامس عشر بالزائر الرسولي ، رقاؤه اولاً الى درجة الاسقفية على كرسي لبانت ، وما أعلن استقلال بولونية حتى رُفع مقامه الى رتبة سفير بابوي . فحضر سياسته استقفاً رئيس الجمهورية المارشال بلسودسكي وهيئة الحكومة واعيان العاصمة (٢٨ ت ١ ، ١٩١٩) وارسل اليه البابا حليماً صديقاً تقديراً لخدماته الجليلة . اما السفير الجديد فكان قد سبق وقدم اوراق اعتماده في ١٩ تموز من السنة نفسها ، وانتسح عصر العلائق السياسية بين الفاتيكان وبولونية .

وفي غضون سفارة السيد راتي ، تدفقت الجيوش البلشفية على بولونية ، وكادت تطرق قوسوقية في شهر آب ١٩٢٠ . رأى ذلك السفير البابوي قبالة برباطة جأش ولم ينادر مركزه ، وقد اعجب به الجميع اعجاباً . لكن الله لم يسمح بان تسقط هذه الامة المجيدة بين مخالب السوفييات ، فارسل اليها القائد الفرنسي ثيخان واركان حربه الذين ما كادوا يتسلمون القيادة حتى استقامت الحال واخذت الجيود الروسية تتقهقر امامهم فتمكن ثيخان من اجلائها عن بولونية بضعة ايام ، واستطاع ان يفساد الجمهورية الحديثة آمنة شر اعدائها (٢٥ آب) ، يرافقه دعاء البولونيين وهتافهم . وكان السيد راتي من الذين أُعجبوا بمهارة القائد الفرنسي وسرّوا غاية السرور بفوزه وخلص بولونية .

اصعب ايام السيد راتي في بولونية كانت ايام الاستفتاء . في سيليزيا العليا . لكنه مجذبه وحزمه تقلب على تلك العقبات ، وجعل حدّاً لضغط بعض الاساقفة الالمانبي الاصل على اكليسيهم ، ومكّن الكهنة والرعايا من ان يجتازوا الانضمام

الى البلاد التي فضّلوها .

وقد حاز السفير لدى الحكومة البولونية نفوذًا عالياً اشتمله فقط لمساعدة الفقراء ، ومواساة المساكين ، واطلاق المسجونين ظلماً ، وتوزيع القوت على الاحداث الجياع . وقد شابت جامعة فرسوية الكاثوليكية ان تصرب عن شكرها اياه واعجابها به فنحتة لقب استاذ شرقي فيها (تشرين الاول ١٩٢١)

٤

مطرانته ، ورقبته الى مهام الكرارة

فجعت مدينة ميديولان بعقد رئيس اساقفتها التمي النشيظ الكردينال اندره فراري ، تتوجهت حالاً الى السيد راتي انظار بنديكوس الخامس عشر بما انه كان قد خبر مقدرة سفيره ، وعرف صفاته الادارية ، وفضائله الكهنوتية ، ورأى انه كفء . لان مجلف اولئك الاساقفة الذين شرّفوا كرسي ميديولان يعلمهم وقد استهم . فنقله من سفارة بولونية الى مطرانية ميديولان (١٣ حزيران سنة ١٩٢١) وفي المجمع الكردينالي ذاته دفعه الى رتبة الكرادلة .

وقبل ان يستلم ادارة ابرشيته ، قاد الى لورد الزوار الايطاليين في شهر ايلول ، ثم دخل مدينته الاسقفية باحتفال عظيم اشركت فيه طبقات الشعب جماعاً . في ميديولان وفي مقدمتها رجال السلطة والجيش . وحام فوق عربته طيار نثر عليها الازهار وشرات الترحيب . وكان بنديكوس الخامس عشر يوم سماء مطراناً وكردينالاً ، اطراه اطراءً بليفاً للغاية وهناً ابرشية ميديولان به .

وما كاد السيد راتي يستلم مهام وظيفته ، حتى علم الجميع ان خطته لن تختلف عن خطة سلفه الكردينال فراري ، فازدادوا تعلقاً به . في ٧ كانون الاول ١٩٢١ ، دشّن جامعة قلب يسوع الكاثوليكية واخذ يتم بالتعليم والتهديب ، ويعني بامر طبقة الشعب الواطية . لكن المجال لم يتسع له لينفذ خطته اذ دعاه الله الى مقام الجبرية العظمى ، فالتقت اليه مقاليد الكنيسة الرومانية ليستفيد من نبوغه وخبرته وفضيلته لا اهل ميديولان فحسب ، بل الكنيسة الكاثوليكية جماعاً .

(للمقال صلة)